فصول في التفكير الموضوعي: منطلقات ومواقف *

عبد الرزاق عبد الله حاش**

مُقدِّمة

اتفق المفكرون إسلاميون كانوا أو غير إسلاميين على ضرورة **"تحسين التفكير البشري"** وإصلاح مناهج الفكر وآليات التفكير، لكونها سبباً لنهوض الأمم، وخروجها من حالة التخلف الاجتماعي والسياسي، وكل أزمة تعيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. فوجود أنبياء ورسل بلّغوا رسالات حثت البشرية على استعمال عقلها وفكرها، وفلاسفة شغلوا تفكيرهم للبحث في هذه المسألة دليل لا يقبل الشك على أهمية هذه المسألة.

ومع أن الإنسانية تتساوى من حيث قدرتها على التفكير إلا أن هناك تفاوتاً وتبايناً في الأساليب ومناهج التفكير لدي الامم عبر تاريخ الإنساني مما أدي إلى تباين وتفاوت في الحضارات التي خلفها الإنسان الماضي، فهناك حضارة اتسمت

---

* بكار، عبد الكريم بن محمد الحسن، **فصول في التفكير الموضوعي، منطلقات ومواقف** (دمشق: دار القلم، ط١، ١٩٩٣م).

** ماجستير في أصول الدين ومقارنة الأديان، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. طالب دكتوراه في الجامعة نفسها.

بالروحيات والخيال وأخري بالشكليات وترتيب المظاهر والمباني، بينما جمعت أخرى بين الاثنين وزادت بعض الجوانب الأخرى في الحياة البشرية.

كما اتفقت كلمة المفكرين والعلماء على أن الذي يؤدي إلى سقوط حضارة وقيام أخرى هو التفكير، إذ التفكير هو العامل الأساس الذي يقود البشرية إلى البناء والسيطرة على الطبيعة ومعرفة الأنظمة الاجتماعية الصالحة لتطوير وبناء حضارة، كما يمثل السبب الرئيس لسقوط الحضارات اذا انحرفت الأمة عن التفكير الملائم لمواصلة مسيرتها الحضارية، من هنا انتبه المفكرون الإسلاميون إلى أن الأزمة الحالية التي تعيش بها الأمة الإسلامية اليوم هي "**أزمة فكرية**" قبل كل شئ منها انبثقت أزمات أخرى متعددة ولا يوجد حل لتلك الأزمات إلا بإصلاح مناهج التفكير وأساليبه.

وألف المفكرون الإسلاميون المعاصرون في هذا الموضوع عدداً لا بأس به من الكتب مثل كتاب "الفكر الإسلامي" لمحمد الفؤاد الفقيه، وكتاب "حقيقة الفكر الإسلامية" للزبيدي، وكتاب "تجديد الفكر الإسلامي"، للدكتور محسن عبد الحميد وكتاب "الأزمة الفكرية المعاصرة" للدكتورطه جابر العلواني، وكتاب "أزمة العقل المسلم" للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، وكتاب "فصول في التفكير الموضوعي"، للدكتور عبد الكريم بكار، وهو موضوع هذه المراجعة، وتعددت العناوين وتنوعت ولكن المسعى واحد: تحسين الفكر الإسلامي" وإعادة تفعيله من جديد بغية تحريك فعاليات الأمة حتى تكون شاهدة على الناس فعلاً.

ويتناول الدكتور عبد الكريم بكار الأزمة الفكرية من زاوية مختلفة تتمثل في مدخل الموضوعية وأهميتها في تحسين الفكر البشري عامة والإسلامي خاصة، والكتاب يتكون من ستة فصول؛ خمسة منها تمثل الأفكار الرئيسة للكتاب، وفصل واحد وهو الفصل الرابع يمثل التطبيقات العملية لتلك الأفكار. ومما امتاز به الكتاب عن غيره من كتب التفكير الموضوعي، هو أن المؤلف تحرى الدقة في استخدام مصطلح التفكير الموضوعي، مما يجعل فهم الكتاب أمراً ميسوراً.

الأسئلة الكبرى التي اهتم بها الكاتب

الأسئلة الكبرى التي اهتم بها الكاتب في كتابه تمحورت حول الأسباب والعلل التي يمكن أن تؤدي بالفرد أو بالشعوب والأمم، ومن بينها الأمة الإسلامية، إلى

التقهقر والانكسار، والتي تجعل المرء عاجزاً عن تحقيق أهدافه وأهداف أمته. ثم العوامل الداخلية المؤثرة في تقهقر الأمة.

أكان ما أصاب أمتنا من تراجع حضاري وتخلف وتبعية وإنخفاض لفعالية الفرد المسلم وإنتاجه بسبب عوامل وتأثيرات خارجية مستقلة عن إرادتنا وذاتينا أم أنه كان مصداق قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾؟ ومن جانب آخر إذا كان كثير من الباحثين يؤمنون أن أرقي أنواع الوعي هو "الوعي بالذات" وأعظم الجهل هو الجهل بها، فكيف يمكن أن نعرف الذات وبناءً عليه ما الوسائل والأساليب المناسبة التي تقودنا إلى معرفة الذات والوعي بها؟ وما الإدارك الحسن لحدودها وشروط وجودها والظروف الملائمة أكثر للحفاظ عليها وترقية درجة عطائها؟

يرى الكاتب أن:

- القدرة على رؤية موضوعية بعيدة عن الهوى والذاتية والقراءات الناقصة، هي أهم الأدوات التي ينبغي أن نتسلح بها قبل الخوض في معركة الخروج من التيه والعيش في الأوهام وردود الأفعال .
- معرفة الذات لا تتم إلا بإدراك الأسباب التي أدت إلى عدم معرفتها والجهل بها، ولا يمكن إدراك الأسباب إلا بالتخلي عن كثير من التراكمات السلبية التي تحول دون الرؤية الموضوعية وامتلاك الأدوات الكافية لمعرفة ذلك وتحليلها تحليلاً دقيقاً يوصلنا إلى معرفة تلك الأسباب أيضاً.
- إن المقدمات النظرية لثقافتنا تركت هوامش واسعة في ذاتية الأمة التي تسمح لها بالتفاعل مع الآخرين أخذاً وعطاءً، ولا تتم فكرة الأخذ والعطاء ــ كما يري المؤلف ـ إلا بتعميق التفكير الموضوعي في ثقافتنا.
- إن التفكير الموضوعي هو الخطوة الأولي إلى الوعي بالذات، وإلى إدراك جذور إنحرافاتنا الفكرية وأسبابها ومظاهرها، وبناءً عليه فإن تحسين الخطوة الأولى يساعدنا على المواصلة في الاتجاه نفسه.

تحديد إشكالية الكتاب أو قضية الكاتب

أعطى الدكتور عبد الكريم بكار في كتابه هذا اهتماماً بالغاً للتفكير الموضوعي و إعمال العقل والنظر في معرفة الذات والوصول إلى الحقائق، وحاول أن يبرز للقارئ معاني كلمة "**التفكير الموضوعي**" اللغوية ومدلولاتها الاصطلاحية الأكاديمية،

كما تناول دواعي التفكير الموضوعي وأسبابه لدي الإنسان. كما عرَّف للتفكير الموضوعي وأشار إلى الفروق الأساسية بينه وبين الأنشطة التي تتنافى مع الموضوعية، وتناول المجال النظري للتفكير الموضوعي وتطبيقاته، وذكر كذلك مرتكزات ومواصفات التفكير الموضوعي وكيفية بنائه.

الأفكار الأساسية التي لها علاقة بالسؤال المثار

١. **إن التفكير البشري عامة ضرورة حيوية**، لأنه يمثل الصفة الوحيدة التي تميز الإنسان من الحيوانات الأخرى، وهو عنصر ضروري في حياة البشر. واقتضت سنة الله تعالى أن يُعمل الإنسان عقله وتفكيره بغية الاستفادة من الطبيعة وتسخيرها. وتسخير الله تعالى الأشياء لنا يعني قابلية تحويلها من كم إلى كيف. وهذا التحويل لا يتم بمجرد الحركة بل بمعرفة السنن والنواميس التي تتحكم في عمليات التحويل، ثم إخضاعها لتصرف الإنسان. وهذا الأمر يعطي معنى لفعله ويساعده على الاعتبار من نجاحاته وفشله، وبناءً عليه فإن الثروة الحقيقة لأمة ما ليست في المال والأرض والأشياء التي تمتلكها إنما هي في كمية الأفكار التي تخلصها من قيود الضرورات على الوجه الأكمل وتعلمها حل المشكلات وإبصار دروب الفعل التي تسلكها. وإيضاحاً لأهمية التفكير البشري استدل المؤلف بما قام به الفيلسوف الفرنسي (ديكارت) حيث قال" **أنا أفكر إذاً أنا موجود**" فديكارت بهذه العبارة الموجزة يجعل التفكير دليلاً على الوجود بل كاد أن يحصر الوجود كله في التفكير، وخاصية التفكير هي التي توجد ميزة التنوع بين البشر في المستويات العليا بين الأفراد والشعوب.

ذلك أنه حين يرى أمة تحرم من هذه النعمة الجليلة فان الحياة تصاب بالقحط والجدب وتصبح الأعداد البشرية الهائلة أكداساً من اللحم والعظم، وبالتالي فإن أي مشكلة تصيب المجتمع تصبح إحدى لوازمه الثابتة فيه، ولا يتمكن من الخروج منها إلا بعد تكاليف باهظة وجهود متضافرة.

٢. **تحسين التفكير**، وذلك عندما تحدث المؤلف في السطور السابقة عن فكرة ضرورة التفكير البشري للحياة الإنسانية تأتي الفكرة التي تليها في التسلسل المنطقي وهي تحسين التفكير البشري، وذلك أنه ليس منطقياً أن نقول إن التفكير البشري ضروري ولا نلقي بالا إلى الفروق الأساسية بين التفكير الحسن المثمر المنتج ومواصفاته وبين التفكير العشوائي الذي لايسمن ولا يغني من جوع، وبيّن المؤلف في

كتابه أهمية هذه الفكرة إذ أنها تؤدي الفكر البشري إلى إستيعاب كثير من الظواهر الكونية والبشرية وتطويعها إلى مصالحه وأغراضه، كما تؤدي إلى اكتشاف النواميس والقوانين الملائمة تجعل الإنسان قادراً على حل مشاكله.

وتطرق الكاتب إلى كيفية تحسينه والأساليب التي تساعدنا في ذلك مثل: **القراءة المستمرة** التي إذا حرمنا منها حرمنا من نعمة تراكم المعرفة وتوسع المساحات في الرؤية والنظر إلى إنتاج العقول السابقة الإيجابية والسلبية. ومما لا شك فيه أن القراءة تزودنا بكمية من المعارف إلى حوزتنا المعرفية ولكن كما يقول المؤلف ليست القراءة هي التي تصنع المفكر العظيم وليست هي البديل عن التفكير وإنما تمد العقلَ بمواد معرفية تجعل المرء يفكر تفكيراً مركزاً، ومن هنا ليست كل قراءة منتجة ونافعة، وكثير ماتجد فينا من يقوم بقراءة سريعة دون إعمال فكره، مجرد نقل ما في السطور إلى الصدور دون أن يدرك شيئاً ويتبصر فيما يقرأ.

ومن أساليب تحسين التفكير **ترتيب ما نفكر فيه** أو المشكلة التي نعالجها، وتقسيم وحدات ومفردات المشكلة ومعالجتها واحدة تلو الأخرى. وأخيراً يقول الدكتور أن فكرة **تحسين التفكير** تؤدي بنا إلى التفكير العلمي الذي يساعدنا في حل المشاكل وتفسير الظواهر المختلفة والتنبوء بها والحكم عليها باستخدام أحد المناهج المعروفة.

٣. الخلفية التاريخية للموضوعية في القرآن الكريم

في هذه الفكرة يوضح المؤلف أن الظاهرة القرآنية هي جزء من ظاهرة الوحي الإلهي الممتد من عهد آدم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين. وذلك أن التتابع العجيب لرسالات السماء كانت من أجل هداية الخلق وتعريفهم بوظائفهم في هذه الحياة حتى ينسجم الشكل مع المضمون، وإن الخطوط العريضة في دعوة الأنبياء ظلت واحدة من توحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته والإحسان إلى الخلق وإعمار الأرض وقد عني القرآن الكريم بأن يوجز لنا أنشطة الأنبياء في تبليغ الرسالات، ونقل لنا مواقف قومهم والحوارات التي تمت بينهم.

ومن خلال تلك الأنشطة والحوارات يوضح القرآن الكريم الخلفية التاريخية في بناء التفكير الموضوعي العلمي والمؤلف يسوق جملة من الأمثلة والقصص القرآنية لبيان ذلك. وقد أخذ المؤلف مثالاً على ذلك قصة نوح مع ابنه وقول الله تعالى له ﴿إِنَّهُ

ليسَ منْ أهلكَ إنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَـالح﴾ {هـود: ٤٦}، وقصـة الملائكـة مـع آدم حـين استفهم بعض الملائكة على سبيل التعجب كيـف يستخلف الله بـني آدم وفيهـم مـن يفسدُ في الأرض؟ ثم رجوعهم عن ذلك بعـد أن أدركـوا أنهـم تجـاوزوا حدودهـم: ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ {البقرة:٣٢}.

ومن أهم مفردات الموضوعية إثبات صحـة مـا يصادفـه الإنسـان في حياتـه قبـل إتخاذ القرار، واستدل المؤلف بقصة سليمان مع الهدهد" ﴿سَـنَنْظُرُ أَصَدَقْـتَ أَمْ كُنْـتَ منَ الكَاذبيْنَ﴾ {النمل:٢٧}، وقصة فتية الكهف ﴿هَؤُلاء قُومُنَـا اتَّخَـذُوا مـنْ دُونـه آلهةً لَولا يَأتُونَ عَليْهمْ بسُلْطَان بَيِّن﴾ {الكهف:١٥}، وأهم مفردات الموضوعية نبـذ الإبائية التي تسبب تعطيل العقـل وعـدم الاسـتفادة منـه، واسـتدل علـى ذلـك بقصـة إبراهيم عليه السلام حين عرف أن أباه عدو لله تبرأ منه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَـهُ أَنَّـهُ عَـدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ منْهُ إنَّ إبْرَاهيْمَ لأوَّاهٌ حَليْمٌ﴾ {التوبة: ١١٤}، ولا قدسية بعد معرفة انحرافه عـن الحق، كما أن من مفردات الموضوعية نقد الذات. واستدل المؤلف بقصة آدم وحـواء حين بدت لهما سوآتهما وعرفا الوقوع في المخالفة ﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَـا أَنْفُسَنَا وإنْ لَـمْ تَغْفرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ منَ الخَاسرِيْنَ﴾ {الأعراف: ٢٣}.

ومن مفردات الموضوعية إنصاف الناس وعدم هضم حقوقهم والمرونـة الذهنيـة وقد تحدث عنها القرآن في مواضع كثيرة ذكرها الكاتب.

هذا البناء للخلفية التاريخية كان بمثابة إنارة الدرب للعقل المسلم حتى يشـعر أنـه حيث يؤمر بسلوك دروب الموضوعيـة، والواقعيـة، والإنصـاف فإنمـا يؤمـر بالسـير في طريق قد سلكه من قبل الأنبياء والمرسلين ومن معهم من خيار البشر.

٤. المجال النظري للموضوعية. إن مـن دواعـي هـذه الفكـرة -كمـا يقـول المؤلـف- هـي أن الجوانـب المختلفـة للإنسـان تتسـم بالمرونـة كمـا تتسـم بـالتعقيد والتشابك، فالقضايا الإنسانية ذات تغييرات متصلة، وبناءً عليه فـإن الحـدود الفاصلـة بينهـا أيضـا غـير دقيقـة، فـالحدود الفاصلـة مثـلاً بـين الكـرم والتبذيـر، وبـين التهـور والشجاعة، وبين الجبن والحذر، وبـين الثبـات والتصلـب، هـي أمـور معقـدة. وهـذا التعقيد يفرض علينا الحذر والإناءة وحيث لا تتبـدي لنـا الحقـائق والنواميـس المتصلـة بالإنسان دفعة واحدة وإنما على مراحل متتابعة وفـق مـا نبـذل مـن جهـد ووقـت في اكتشافها يستدعي بناء فضاء نظري واسع المدي يسمح للمرونة الإنسـانية واختـلاف

ظروف البشر أن تأخذ كل أبعادها، لأنها في النهاية تقف عند حدود واضحة المعالم تفصل بين القيم واضدادها، وتوقف الإنسان على مراشد الحق التي ليس بعدها إلا الضلال. وتوضيحا لذلك أورد المؤلف جملة من نصوص الكتاب والسنة التي أسهمت في بناء المجال النظري للتفكير الموضوعي .

إن من أهم الخطوات على طريق الموضوعية: **"البعد عن الظن والتخمين"** وقد حث القرآن الكريم الإنسان الكف عن الجدل فيما لا علم له به وأن يجتنب الظن، ﴿يَاأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا اجْتَنبُوا كثيراً منَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ﴾ {الحجرات: ١٢}، ﴿وَمَا يَتّبِعُ أَكْثَرُهُم إلاَّ الظَّنَّ إنَّ الظَّنَّ لا يُغني منَ الحَقِّ شيئاً﴾ {يونس: ٣٦}، ثم أمر القرآن الكريم بالتجرد من الأهواء لأجل الوصول إلى تفكير موضوعي، وباب الأهواء باب واسع ينتظم كثيراً من ألوان الزيغ من المطامع والشهوات والبعد عن الموضوعية ﴿بَل اتَّبَعَ الَّذينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بغَيْر علْم﴾ {الروم: ٢٩}، ومن دعائم الموضوعية **"المسؤولية"** حيث يتحمل الإنسان مسؤولية ما قام به في حدود وشروط موضوعية معينة ﴿كُلُّ نَفْس بمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾ {المدثر: ٣٨}، كما كان **"البعد عن الذاتية"** من دعائم الموضوعية، حيث حذر القرآن الكريم الخلط بين الذات والموضوع، بين الأشخاص والمناهج، ﴿إنَّ أَكْرَمَكُمْ عنْدَ الله أَتْقَاكُمْ﴾ {الحجرات:١٣}، وليس أكرمكم نسباً و لا أكثركم مالاً، وكذلك حث القرآن الكريم ـ وهو يبين المجال النظري للموضوعية ـ على احترام **الاختصاص**، والإنصاف مع الأخر.

٥. الصور والمواقف التي تتنافى مع الموضوعية

من أصعب المراحل للوصول إلى الموضوعية إزالة المواقف والصور الشائعة التي تتنافى مع الحقيقة الموضوعية في الواقع التاريخي أو المعاش. ومهما كان السبب فإن هناك عوامل لا تساعد على انتشار التفكير الموضوعي في بعض الدوائر، ومن هذه المواقف والصور التي تنافى الموضوعية -كما يشير المؤلف- **"التعصب"** وهو اعتقاد المتعصب أنه مالك للحقيقة النهائية التي تدفع به إلى وجوب الالتزام الكامل برأي أو مذهب أو قبيلة مما يجمع عادة بين الفضيلة والرذيلة، والحسن والقبيح، والخطأ والصواب. ويمثل التعصب ضرباً من ضروب الأنانية حيث يكون المتعصب جزأ مما يتعصب له على مستوي النسب أو المكان أو الفكرة مما يحوله إلى متطرف قد يؤدي به هذا الأمر في بعض الأحيان إلى رفض

الحق وعدم قبوله، ومن مظاهر التعصب إثبات الفضائل مهما تكون غريبة، والاعتقاد بأن كل ما في المذهب صحيح، والتشنيع على المخالف، وكل هذه الصور تنافي الموضوعية والتفكير العلمي، ومن ذلك المبالغة في تصوير خصائص شخص من الناس وترسم صورة خيالية عنه تكون موضعاً للتقديس.

ومن الصور التي تنافي الموضوعية **"عقلية البعد الواحد"** يعني التأكيد على عنصر واحد من ظاهرة ذات عناصرمتعددة إدراكاً وتعاملاً، ومن دوافعها فقر البيئة، وانعدام الحوار، أو الميل إلى التبسيط أي تبسيط الأمور مع أن النظرالفاحص ينتهي إلى أنه لا يوجد شئ بسيط. ومنها الرؤية النصفية أي النظر إلى نصف الحقيقة أو الاكتفاء بمعرفة جانب واحد من المسألة، وكل هذا يشكل عقلية البعد الواحد ومن المواقف التي تعيق الموضوعية إسقاط القاعدة العلمية بالمثال الشاذ عند غياب اللغة الكمية عن استعمالاتنا اليومية أو ضعفها، والذين يعممون أحكامهم هم في الغالب الذين يسقطون القاعدة على المثال الشاذ. ومن عوائق الموضوعية الخلل في المقابلات في الكم والكيف، الشكل والمضمون، والوحدة والحرية، والمساواة والطاعة وغير ذلك.

وكذلك من العوائق الكيل بمكيالين، وفن التبرير والخضوع لسلطة الجماهير وسوء التعامل مع الألفاظ واضطراب ردود الأفعال، كل هذه الصور والمواقف تعيق الموضوعية وتبطل فعالياتها، و هي صور يجب علينا الحذر منها، والابتعاد عنها لكي نطبق الموضوعية في حياتنا. ولقد علمنا القرآن الكريم، الإنصاف مع الآخر في الحوار وفي دعوته إلى الحق، وأن نكون جميعاً في موقف البحث عن الحق والحقيقة دون تهديده وتخويفه ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ منَ السَّموات وَالأرْض قُل ا للهُ وإنَّا أو إيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَى أو في ضَلال مُبيْن﴾ {سبأ:٢٤}.

٦. كيفية بناء التفكير الموضوعي

ونتبع في بناء التفكير الموضوعي ـ كما يري المؤلف ـ الخطوات الآتية:

أولا: الشعور بأننا لسنا آخر من تكلم في الموضوع ولا أوله، وهذا **يعني الشعور بعدم بلوغ الكمال وامتلاك فضيلة المرونة** تجاه ما عرفناه، فالكمال لله تعالى، وما نفعله نحن هو محاولة لمعرفة حدودنا ومقاومة الأهواء والشهوات المضادة للموضوعية، وليس لأحد منا أن يدعي الكمال.

ثانياً: التعمق في الدراسات التاريخية الاجتماعية، حيث تكشف لنا هذه الدراسات عن سنن الله تعالى في قيام الحضارات والدول، ومن خلال معرفة تلك السنن نميز المقدمات من النتائج ونري سلسلة التغيرات المتصلة بينهما، وحينئذٍ نكون قد دخلنا من الباب الأمامي لفهم الواقع، ولن نكون موضوعيين في التعامل معه ما لم نتمكن من معرفة مختلف العناصر العاملة فيه.

ثالثاً: الانفتاح، وهو عامل أساس في تكوين العقل الموضوعي حيث إن الوعي بقضية ما بحجمها الحقيقي يتوقف في كثير الأحيان على المقارنة والموازنة بينها وبين غيرها لنتخذ تجاهها القرار المناسب، وهذا لا يتم إلا بالانفتاح العقلي التام الذي يتسم بالأخذ والعطاء ووضع الأمور في أطرها المناسبة.

رابعاً: لا موضوعية بدون تضحية، ويعني هذا أن المجتمعات المريضة تكثر فيها الإنجازات غير المشروعة وبوضع الحقائق في الظل نتيجة الهوى أولاً ثم الجهل ثانيا، وحينئذ على الذي يريد أن يكون موضوعياً أن يضحي بأشياء كثيرة، وهي كما يشير المؤلف الضريبة التي ندفعها إذا ما رفضنا السير في ركاب أهل الشهوات والقيم الزائفة.

خامساً: الحوار، والحوار أداة جيدة من الأدوات التي تساعدنا على بناء الموضوعية وذلك إذا كان الانغلاق يعني اللاموضوعية، فإن الحوار يعني الانفتاح الواعي على الآخرين. والحوار بوصفها ظاهرة اجتماعية يعد من أفعال المشاركة، وقد يعني شيئاً من التنازل عن بعض ما تعتقده وأخذ شئ من الخصم إذا وافق الحق.

سادساً: عدم الخضوع لسلطان الشائعات، وهذه هي القاعدة الأخيرة التي تساعدنا على بناء الموضوعية وذلك إن التسليم بصحة كل قديم أو كل ما تعارف عليه الناس وعدم استخدام موازن العقل يؤدي بنا إلى الانحراف عن الموضوعية، فالانطلاق من موازين الحق والعدل يؤدي بناء إلى بناء الموضوعية.

تقييم عام للكتاب

١. إلى أي حد نجح الكاتب في تناول القضية المثارة

إذا نظرنا إلى العلاقة بين الأفكار التي تقدم بها الكاتب والسؤال المثار نجد أنها علاقة قوية تربط الجواب بالسؤال ربطاً متيناً، إذ أن المؤلف تناول وتحدث فكرة ضرورة التفكير البشري، والتفكير نفسه، ثم تحسين التفكير البشري، وما البعد

التاريخي لتفكير الموضوعي، المجال النظري للموضوعية، وعوائق الموضوعية ونواقضها، وختم بالكلام في كيفية بناء الموضوعية وعناصرها.

٢. الأدلة التي استدل بها المؤلف، هي أدلة قوية من حيث الصحة والسند وذلك إذا نظرنا إلى الأدلة التي استدل بها الكاتب في مختلف الفصول وغربلتها تجد أنها أدلة صحيحة، حيث ابتعد المؤلف عن الأدلة الضعيفة المشكوك في صحتها التاريخية، كما ابتعد عن الأدلة المعقّدة المعنى التي يصعب فهمها. ومن الأدلة التي ساقها المؤلف الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة، وكذلك آراء العلماء في كل فن، الشرعي منه والاجتماعي. أما من حيث مناسبتها للموضوع فهي أيضاً مناسبة للموضوع حيث أخذ المؤلف الآيات القرآنية التي تسعي إلى تعميق الموضوعية في النفوس وتحذر من العشوائية، وأيضاً الآيات التي تشجع الإنسان على استخدام عقله في البحث عن الحقائق الكونية، والطبيعية، والاجتماعية، وما قاله العلماء في العلوم النفسيه والسلوكية بغية الوصول إلى الموضوعية كأمثلة واقعية لقوله.

النظر في المنهج ومدي تناسبه مع الموضوع، إن المؤلف لم يوضح في مقدمة الكتاب ولا في مكان آخر المنهج الذي سوف يتبعه في معالجة الموضوع، ولكن الناظر للكتاب يدرك أن منهج الكاتب منهج توصيفي تحليلي في آنٍ واحد. وذلك أن المؤلف يتناول كل فكرة ونقطة في الكتاب بالتوصيف والتحليل، حيث يبحث في جذور كل فكرة وملابساتها وجوانبها المختلفة، ويوصف أهداف كل فكرة. ويلجأ المؤلف إلى تحليل ظاهرة اجتماعية بغية توضيح فكرة ما أو إزالة غموض عن مصطلح ما، وهذا ما جعلني أقول ن منهجه منهج تحليلي توصيفي.